

الدكتور جيم سبيجل، فلسفة الدين، الجلسة 14، الإيمان بالله والعلم

جيم سبيجل وتيد هيلدبراندت © 2024

هذا هو الدكتور جيمس سبيجل في محاضراته عن فلسفة الدين. هذه هي الجلسة الرابعة عشرة، الإيمان بالله والعلم.

إحدى الأسئلة المثيرة للجدل في عصرنا تتعلق بالعلاقة بين العلم والدين.

هل يشكل العلم تهديداً للدين؟ وهل يمكن التوفيق بين المعتقدات الدينية والمعرفة العلمية؟ وكما لاحظنا مع الملحدين الجدد، فإن هذه واحدة من حججهم الرئيسية: إن الاعتقاد التوحيدي أو أي نوع من التوجهات الدينية يتعارض بطريقة أو بأخرى مع العلم، وأن الشخص العقلاني الحقيقي والمفكر الصارم سوف يتجنب الاعتقاد الديني، وأي نوع من الالتزامات الإيمانية فيما يتصل بالعالم الروحي، ويؤمن فقط بالكون المادي وبمخرجات العلم التي تمنحنا أي معرفة نملكها. لذا، دعونا ننظر إلى هذا السؤال. هل يشكل العلم تهديداً للدين، وبشكل خاص الإيمان بالتوحيد؟ وهل يمكن التوفيق بين المعتقدات الدينية والمعرفة العلمية؟ الآن هناك وجهتا نظر إشكاليتين يمكننا أن نلاحظهما منذ البداية.

لقد تحدثنا بالفعل عن العلمانية أو الوضعية، وهي النظرة التي ترى أن كل المعرفة لابد وأن تأتي من خلال العلم أو أن كل المعرفة، إذا كانت معرفة، لابد وأن تكون قابلة للتأكيد أو التحقق علمياً على الأقل. وإذا لم يكن من الممكن إثبات ادعاء ما علمياً، أي من خلال الاختبار التجريبي، فلا يمكن إثباته على الإطلاق. وهذا هو العلمانية أو الوضعية.

لقد لاحظنا بالفعل أن هذه النظرة في حد ذاتها إشكالية لأنها لا تلبّي متطلباتها الخاصة. إنها تدحض نفسها. لا يمكنك إثبات أطروحة العلمانية علمياً.

إن هذا ليس أمراً يمكن تأكيده تجريبياً، وبالتالي فهو يفشل في تلبية متطلباته الخاصة. وهناك منظور إشكالي آخر يتمثل في عقلية إله الفجوات، وهي النظرة التي ترى أن الدين يهدف إلى تفسير ما لا يستطيع العلم تفسيره. أما اللاهوت فيملاً الفجوات التي تبقى بعد التفسير العلمي.

إن المشكلة الرئيسية في هذا النهج هي أنه يفترض أن شيئاً ما لا يمكن أن يكون له تفسير علمي ولاهوتي في نفس الوقت. لذا، دعونا نلقي نظرة على بعض نماذج العلم واللاهوت. كيف ينبغي لنا أن نتصور العلاقة بين العلم واللاهوت؟ فيما يلي ثلاثة نماذج نجدها في سياق هذه المناقشة.

أحد هذه الأطروحات هو أطروحة الصراع، والتي تقول إن العلم والدين متعارضان بطبيعتهما، وأن المرء لابد أن يختار بين أن يكون علمياً أو دينياً. ولا يمكن أن يكون المرء علمياً أو دينياً في الوقت نفسه. فهناك نوع من الصراع المتأصل في هذا.

في الدفاع عن هذه الفكرة، يستشهد الناس غالباً بأحداث معينة في تاريخ العلم حيث كان هناك صراع بين الدين والعلم أو الكنيسة والعلم، كما في جدال جاليليو. النزاع في العصر الحديث المبكر حول ما إذا كانت الأرض تتحرك وتدور حول الشمس في مقابل الكواكب الأخرى التي تدور حول الأرض. فضل أنصار مركزية الأرض مقابل أنصار مركزية الشمس وأولئك في الكنيسة إلى جانب الدين وجهة النظر القائلة بمركزية الأرض.

وفي الوقت نفسه، كانت فكرة كوبرنيكوس التي دافع عنها جاليليو هي الرأي الذي تحدّى الرأي القائل بمركزية الأرض، وانتصر العلم. فقد أثبت جاليليو وأنصار مركزية الشمس أنهم كانوا على حق، وهذا يثبت ببساطة أننا لا نستطيع أن نثق في الكنيسة أو اللاهوت في هذه المسائل. أو في حالة الداروينية وظهور نظرية التطور في القرن التاسع عشر، والتي كثيراً ما يُستشهد بها فضلاً عن درس تاريخي مهم مفاده أن هناك صراعاً أساسياً هنا.

لا يوجد تعارض فحسب، بل إن المتشككين في الدين يرون أنه ينبغي لهم دائماً أن يؤيدوا العلم كلما نشأ تعارض من هذا القبيل. وهناك أيضاً من يؤمنون بالدين ويؤكدون على فرضية التعارض هذه، ولكنهم يقولون، إننا ينبغي لنا دائماً أن نؤيد الدين أو اللاهوت ضد العلم. ولكن هل هناك تعارض متأصل في هذه المسألة وأين يكمن التعارض إلى الحد الذي قد يتعارض فيه اللاهوت والعلم أحياناً؟

إن مجرد تعارض النظريات العلمية مع الالتزامات اللاهوتية في بعض الأحيان لا يعني بالضرورة أن حقيقة العالم تتعارض مع الحقيقة الكتابية. ففي كلتا الحالتين، نحاول تفسير مجموعة من البيانات، ونضع نظريات من كل الأنواع، أحياناً علمية وأحياناً لاهوتية. وإذا تعارضت نظريتنا في بعض الأحيان، فهذا لا يعني بالضرورة وجود تعارض بين العالم، والطريقة التي يكون عليها العالم، وما تعلمه الكتب المقدسة بالفعل.

، سنتحدث عن ذلك بمزيد من التفصيل بعد قليل. وهناك نموذج آخر للنظر إلى العلاقة بين العلم واللاهوت وهو ما قد نطلق عليه أطروحة الاستقلال، التي تقول إن العلم واللاهوت ينتميان إلى عالمين منفصلين فالعلم يبحث في النظام الطبيعي، واللاهوت يهتم بالخوارق، والعالم الروحي، والعالم الأخلاقي، بحيث لا يمكن أن يتعارضا أبداً.

اقترح ستيفن جاي جولد، عالم الحفريات المخضرم في جامعة هارفارد، نسخة من هذا، وهي فكرة السلطة غير المتداخلة، حيث أن العلم لديه اهتماماته والدين واللاهوت لدهما اهتمامات أخرى وبالتالي لا يمكن أن يتعارضا حقاً. لكن المشكلة هي أن هناك بعض القضايا التي يبحث فيها كل من العلم واللاهوت، ويمكننا أن نرى هذا بوضوح كافٍ في الكتاب المقدس. يتحدث الكتاب المقدس عن قضايا معينة تتعلق بالأصول الكونية، والطبيعة البشرية، وأصل الأنواع، وفكرة الطوفان الكارثي العالمي.

هناك كل أنواع الأحداث في التاريخ التي تشير إليها الكتب المقدسة وتصفها والتي تخضع بشكل صحيح لبعض التحقيقات العلمية. لذا، هناك بعض التداخل هنا، وبالتالي فإن فكرة جولد عن عدم تداخل السلطات، لا تأخذ في الاعتبار هذا النموذج الثالث، والذي أؤيده وأعتقد أن معظم فلاسفة العلوم المسيحيين يؤيدونه. هو نموذج تفاعلي، والذي يقول إن العلم واللاهوت هما نهجان تفاعليان لنفس الواقع.

في بعض الأحيان، يزعم الطرفان ادعاءات متضاربة، وفي هذه الحالة، ماذا نفعل؟ حسناً، نحتاج إلى النظر عن كثب في النظريات التي يشترك فيها كل من الجانبين ومعرفة أين قد يصحح أحدهما الآخر. لذا، إليكم كيف أمثل فكرة النهج التفاعلي بين العلم واللاهوت. على مستوى الصراع، على مستوى النظرية، هناك بعض الصراع.

إن النظرية العلمية هي نوع من التفسير لبعض أبعاد العالم المادي، سواء كنا نتحدث عن علم الأحياء أو الكيمياء أو الفيزياء. أما علم اللاهوت فيحاول تفسير النصوص المقدسة وتنظيمها. وفي كلتا الحالتين، نجد ادعاءات أكثر تجريداً وعمومية في محاولة لتنظيم البيانات وترتيبها.

ولكن هذا كله، مرة أخرى، على المستوى النظري. فعندما نتحدث عن الحقائق الفعلية أو حقائق العالم المادي وحقائق الكتاب المقدس، فإن الفكرة هنا هي أنه لا يوجد تعارض حقيقي. ومرة أخرى، ينشأ التعارض على مستوى النظرية عندما نحاول تفسير الحقائق أو الحقائق أو بيانات الكتاب المقدس من ناحية والعالم المادي من ناحية أخرى.

وهذا يثير السؤال التالي: كيف نعرف أي التفسيرات النظرية ينبغي أن تصحح التفسير الآخر في حالة تعارض معين؟ فإذا كانت نظريتي العلمية ولاهوتي متعارضين، فهذا يعني أن هناك نوعاً من التعارض: فهل ينبغي لللاهوت أن يصحح العلم، أم ينبغي للعلم أن يصحح اللاهوت؟ حسناً، هنا يتعين علينا أن نتعامل مع كل حالة على حدة، وأن نأخذ في الاعتبار كل الحقائق التي نعرفها أو يبدو أننا نعرفها، وأن نكون حذرين بشأن الاستدلالات النظرية التي نستخلصها في كل حالة. وأن نكون منفتحين على التصحيح من أي من الجانبين. ربما هناك شيء إشكالي في لاهوتي يكشفه البحث العلمي.

أو ربما يكون الأمر على العكس من ذلك. فهناك مشكلة ما في نظريتي العلمية يكشفها علم اللاهوت الذي أنتمي إليه. لذا فإن النقطة الأساسية هنا هي أن أيّاً منهما قد يصحح الآخر.

وهذا ما يجعل الأمر تفاعلياً. إنه اعتراف بأن العلم واللاهوت يتعاملان أحياناً مع نفس القضايا. فهما يقدمان مناهج مختلفة لنفس القضايا ويكونان على استعداد لتصحيح أحدهما للآخر.

أو ربما يوجهنا إلى اتجاه جديد تماماً لابتكار نموذج لاهوتي أو نموذج علمي مختلف تماماً. وفي الحديث عن النماذج، دعونا نفكر في بعض الدروس المستفادة من توماس كون، الذي كان فيلسوفاً علمياً مؤثراً للغاية نحو نهاية القرن العشرين. في أوائل الستينيات، نشر كتابه الرائد، بنية الثورات العلمية، حيث ينتقد كون الافتراضات الشائعة حول طبيعة العلم.

وبعض هذه الدروس وثيقة الصلة بالسؤال المتعلق بالعلاقة بين العلم والدين. وهنا نستعرض درسين مهمين من دروس كون، كانا مثيرين للجدال إلى حد كبير في ذلك الوقت. الأول هو أن البحث العلمي ليس محايداً.

إن كل الملاحظات، على حد تعبيره، محملة بالنظريات. إن تصوراتنا للعالم تتلون بنظرياتنا عن العالم. فالعالم، الذي نراه أو الظواهر التي نلاحظها في العالم، سواء كانت بيولوجية أو كيميائية أو فيزيائية أو أي شيء آخر يتم تفسيرها دائماً وفقاً لنموذج.

النموذج هو ببساطة نوع من النماذج النظرية التي تم تطويرها في مجال معين. لذا، فكر في النظريات الباطنية. في مقابل النظريات الكوبرنيكية حول طبيعة الأرض: النظريات الأرضية المركزية والنظريات الشمسية المركزية.

هل الأرض هي مركز الكون، أم أن الأرض هي أحد الكواكب العديدة التي تدور حول الشمس؟ عندما يخرج أحد أنصار مركزية الأرض وينظر إلى الشمس ويقطع السماء، يبدو وكأنه يرى دليلاً مباشراً على وجهة نظره. إنه يرى العالم من منظور نموذج الجغرافي المركزي. بينما عندما يراقب أحد أنصار مركزية الشمس أو مركزية الشمس نفس الظاهرة، فإنه يقول، حسناً، نحن نرى بشكل غير مباشر دوران الأرض حول محورها.

وهذا هو السبب الذي يجعلنا نتصور أن الشمس تدور حول الأرض. إذن، فهم ينظرون إلى نفس البيانات، أو يمرون بتجربة مماثلة، لكنهم يرون الظواهر، ويختبرونها من خلال إطارهم التفسيري أو نموذجهم الخاص. وهناك مثال أو توضيح آخر، وهو أن يذهب شخص من أنصار نظرية الخلق وآخر من أنصار نظرية التطور الكلي إلى نفس حقيقة الحيوانات، فيقول له أنصار نظرية الخلق: "واو، انظر إلى كل الحيوانات المختلفة التي خلقها الله".

هذا أمر مدهش. ثم لنفترض أن الدارويني ذهب إلى حقيقة الحيوان نفسها ورأى نفس الحيوانات، ثم استنتج من ذلك: "يا إلهي، أليس هذا مدهشاً؟" ما الذي قد تنتجه عملية الانتقاء الطبيعي على مدى عصور من الزمن مع كل أنواع الطفرات العشوائية؟

لذا، ينظر الخلقيون والداروينيون إلى نفس الحيوانات، ولكنهم يرون الأشياء بشكل مختلف لأنهم ينظرون من خلال أطر أو نماذج نظرية مختلفة. يستخدم كون مثال البطة والأرنب، وهي صورة يمكن رؤيتها كبطة أو أرنب، ولكن ليس كلاهما في نفس الوقت. يمكنك التبديل بينهما

وإذا أخبرت شخصًا ما، "حسنًا، سأريك صورة أرنب"، قبل أن تضعها على الشاشة، فمن المرجح أن يراها على أنها أرنب وليس بطة. وإذا أخبرته مسبقًا، "سأريك بطة"، فمن المرجح أن يراها على أنها بطة وليس أرنبًا. لذا فإن الأفكار المسبقة التي نحملها حول صورة البطة والأرنب تشكل تشبيهًا جيدًا لما يتحدث عنه كوهن هنا

.إننا نتعامل مع العالم دائمًا من خلال عدسات نظرية معينة. وهذا ينطبق على العلماء، وربما أكثر من غيرهم. فمن طبيعة الإنسان أن يفسر الأشياء من خلال شبكات نظرية

هناك نقطة أو درس آخر تعلمناه من كون، وهو أن النظريات العلمية لا يمكن تحديدها بالبيانات. إذ يمكن للعديد من النظريات المختلفة أن تفسر نفس الظواهر باستمرار. ويتم اختيار النظريات بسبب قوتها التفسيرية، وأشياء مثل ملاءمتها العامة، وأناقته، وجمالها، وما إلى ذلك

ولكن هذه الاستنتاجات لا يمكن استخلاصها بدقة. فالنظريات العلمية لا يمكن استخلاصها ببساطة من البيانات. بل إن هناك دومًا نوعًا من القفزات الخيالية التي تتخذ في تاريخ العلم أشكالاً فكاهية ودرامية في بعض الأحيان

، الرجل الذي توصل إلى التركيب الكيميائي والتوجيه ثلاثي الأبعاد للبنزين الكيميائي، وهو رجل يُدعى كيكولي يحاول معرفة كيفية عمل ذلك. كان يرسم كل أنواع المخططات البيانية لمحاولة معرفة كيف يمكن أن يكون لديك هذا البنزين الكيميائي بعدد معين من جزيئات الكربون والهيدروجين. كيف يعمل هذا؟ أعتقد أن صيغته C_6H_6 الكيميائية هي

لكن الأمر لم ينجح. إنها مجرد سلسلة مستقيمة. ثم كان ينام أمام النار ذات يوم

تدخل في حالة تشبه الحلم عندما تغفو حتى قبل أن تفقد وعيك تمامًا. لقد تخيل أو حلم بثعبان في النار. بعض ذيله، فيخلق حلقة. كان البنزين في ذهنه وقال، ربما هذا هو السبب

جلس ورسم مخططًا لذلك. وبالفعل، هذا هو التفسير. الأمر أشبه بأن البنزين عبارة عن حلقة بها روابط مزدوجة متناوبة

كان هذا هو الحل لمشكلته، والذي حدث بطريقة عشوائية للغاية. لقد ولد علم الأشعة بطريقة عشوائية مماثلة. لقد تم تحقيق كافة أنواع الاكتشافات العلمية بطرق غير عقلانية

أعتقد أن هذا أمر متطرف. ففي أغلب الحالات، تكون هذه النتائج عشوائية إلى حد غير عادي. ولكن حتى في الحالات التي يتقدم فيها عالم بطريقة عقلانية، وبشكل أكثر منهجية، في تطوير نظرية ما، فإن هذا لا يعني مجرد استنتاج مباشر من البيانات

هناك دائمًا خطوة إبداعية في هذا المجال. فعندما يتم تطوير النظريات، فإنها تكون دائمًا نظريات متنافسة تفسر نفس البيانات أيضًا. ولكن السؤال هو، أي النظريات تفسر البيانات بشكل أفضل؟ في الواقع، لديك هذه الصفات الجمالية التي تؤخذ في الاعتبار، مثل الأنافة

أي نظرية تفسر البيانات بأبسط طريقة؟ قد تقول إن بعض النظريات أجمل من غيرها. وقد أكد أينشتاين على ذلك في كثير من الأحيان. وإذا كانت هناك نظرية عظيمة موحدة توحد كل العلوم التجريبية بطريقة فعالة وأنيقة للغاية، فسوف تشتهر بجمالها.

وسوف يكون لهذا العمل نوع من التميز الجمالي. وهناك أيضًا هذا البعد المتعلق بالنظرية العلمية. وماذا عن الافتراضات التي نفترضها عندما نمارس العلوم؟ يتعين علينا أن نضع هذا في الاعتبار أيضًا.

الافتراضات العلمية. أحد الافتراضات التي يفترضها العلماء، لأن الجميع يفترضونها، هو ما يسمى بالموثوقية العامة للإدراك الحسي. لا يمكنك إثبات موثوقية جميع حواسك علميًا دون افتراض موثوقية معينة لحواسك في البداية.

يمكنك الذهاب إلى طبيب عيون أو طبيب أنف وأذن وحنجرة. يمكنك فحص أذنك واختبار سمعك. ولكن حتى عند الذهاب إلى مثل هذا المتخصص لتقييم حواسك، فأنت تفترض بالفعل موثوقية حواسك بشكل عام.

وهذا إذن افتراض أساسي يتعين علينا أن نتوصل إليه. وهو نوع من الإيمان الفلسفي الذي يتعين على حتى أكثر العلماء صرامة أن يفترضوا فيه أن الحواس جديرة بالثقة. وهو نوع من الالتزام بالإيمان.

ينص قانون السببية على أن كل نتيجة لابد أن يكون لها سبب. مرة أخرى، هذا التزام إيماني. نبدأ بالافتراض بأن النتائج لها أسباب.

إن الطبيعة موحدة وأن قوانين الطبيعة ستظل ثابتة وأن المستقبل سيكون مشابهًا للماضي.

إن قوانين المنطق موثوقة وجديرة بالثقة؛ وهذه كلها افتراضات يجب علينا أن نتخذها عندما نمارس العلم. وكل شيء آخر. لذا فهذا سبب آخر لعدم قدرة العلم على إثبات كل شيء.

لماذا يجب أن تكون العلمانية زائفة؟ لأن هناك افتراضات معينة يجب أن نتخذها حتى نبدأ في ممارسة العلم، وهي افتراضات تسبق ممارسة العلم. لذا، فإن كل هذا ينبغي أن يكون متواضعًا من حيث وجهة نظرنا للعلم.

لا أقصد بذلك التقليل من سلطة العلم أو قوته أو أهميته، وهو العلم الذي حقق إنجازات غير عادية وخاصة في مجالات الطب والنقل والاتصالات. إنه لأمر مدهش أن تتمكن من ركوب طائرة تجارية والطيران من نيويورك إلى كاليفورنيا في غضون ساعات قليلة. وأن تتمكن من إجراء العمليات الجراحية بأقصى قدر من الكفاءة، حتى في جراحة المخ، وعلاج كل أنواع الأمراض.

ولكن على الرغم من كل ذلك، فإن العلم له حدوده. وهو أسلوب، على الرغم من قوته وفعالته، يعتمد أيضًا على بعض الالتزامات الإيمانية، مثل هذه الافتراضات التي يفرضها العلم، حتى ولو كانت هذه الافتراضات فلسفية إيمانية وليست معتقدات لاهوتية.

لننتقل الآن إلى بعض القضايا المتعلقة بالمنهجية العلمية. هل يجوز لنا في البحث العلمي أن نأخذ في الاعتبار الاعتبارات اللاهوتية؟ وهل هذا مناسب؟ وكيف يجيب الشخص على هذا السؤال سيحدد وجهة نظره بشأن عدد من القضايا، بما في ذلك مناقشة الأصول. إذن، هناك نوعان من الطبيعية يجب أن نميز بينهما هنا.

هناك نوعان من المذهب الطبيعي: الأول هو المذهب الطبيعي الميتافيزيقي، وهو المذهب الذي يرى أن العالم المادي وحده هو الموجود، وأنه لا وجود للكائنات الخارقة للطبيعة، ولا وجود لله، ولا وجود

للملائكة، ولا وجود للأرواح البشرية غير المادية. وهناك نوع آخر من المذهب الطبيعي هو المذهب المنهجي فقط.

إن الطبيعة المنهجية هي وجهة النظر التي ترى أن التفسيرات العلمية للعالم لابد وأن تشير بالكامل إلى الظواهر الطبيعية دون أي إشارة إلى العوامل الخارقة للطبيعة. وهناك عدد من علماء الطبيعة المنهجيين المعاصرين الذين يتسمون بالصلابة في إيمانهم والتزامهم بالتوحيد أو حتى المسيحية، ولكنهم يؤكدون على نوع من الطبيعة المنهجية على هذا النحو الذي يجعلنا نقصر في تفسيرنا للأحداث في العالم المادي على نطاق الأسباب المادية.

إن اللجوء إلى قوى خارقة للطبيعة لتفسير أحداث مثل نشوء الأنواع أو الوعي البشري هو بمثابة استسلام؛ إنه تخلي عن الالتزام العلمي باللجوء إلى روح بشرية أو إلى خلق إلهي خاص. وهذا هو النهج الذي يتبعه علماء الطبيعة المنهجيون. ومن السهل الخلط بين هذين الشككين من أشكال الطبيعة

يُتهم العديد من علماء الطبيعة المنهجيين بأنهم من علماء الطبيعة الميتافيزيقيين المتخفين أو غير المتعمدين. ولكن مرة أخرى، قد يكون شخص ما مسيحياً متديناً ومع ذلك فهو من علماء الطبيعة المنهجيين الذين يؤمنون بالله والملائكة والأرواح البشرية ويصرون على أن كل استقصاءاتنا العلمية يجب أن تسترشد بهذا المبدأ. لذا فإن الطبيعة المنهجية لا تعني الطبيعة الميتافيزيقية

إذن، مرة أخرى، يمكن لأي مسيحي أو أي مؤمن بالله أن يؤكد بشكل متماسك على الطبيعة المنهجية. ولكن هل الطبيعة المنهجية هي أفضل وجهة نظر يمكن للمسيحي أو المؤمن بالله أن يتبناها؟ فيما يلي بعض الحجج لصالح الطبيعة المنهجية. يعتمد أحدها على طبيعة العلم

تقول هذه النظرية إن هدف العلم هو تفسير الظواهر الطبيعية من خلال ظواهر طبيعية أخرى. لذا فإن اللجوء إلى كيانات خارقة للطبيعة يعد غشاً. أجريت محادثة مع طالب سابق تابع دراسته للحصول على درجة الدكتوراه في فلسفة العلوم في إحدى الجامعات البحثية الكبرى

وهو من علماء الطبيعة المنهجيين. لذا، كنا نتحدث عن هذا. وبينما كان يشرح لي وجهة نظره، قال: "أرى الأمر على هذا النحو: إن الشخص الذي يلجأ إلى أسباب خارقة للطبيعة لتفسير، على سبيل المثال، التنوع أو حتى الوعي البشري يشبه شخصاً يلعب كرة القدم ويخرج عن حدود الملعب، على سبيل المثال عند خط ال ياردة، ثم ينزل إلى مبرد المياه ويجد زملاؤه في الفريق على جانب الملعب ثم يعودون إلى حدود الملعب في 15 الطرف الآخر من الملعب

يدخل خط العشرة ياردات إلى منطقة النهاية ويقول، لقد سجلت هدفاً. هذا غش. أنت تخرج عن الحدود

إن طبيعة العلم هي أنه يتعين علينا دائماً البحث عن أسباب طبيعية، وليس أسباباً خارقة للطبيعة للأحداث وكان ردي عليه عندما قدم لي هذا القياس: أليس هذا استجداءً للسؤال؟ إنه يسمي ذلك غشاً، ولكن من قال ذلك؟ وبسلطة من نستطيع أن نكون على ثقة من أنه ليس من المقبول أبداً أن نستنتج حدوث نوع من التدخل الخارق للطبيعة، أو نوع من الأسباب الخارقة للطبيعة؟ ومن قال إنه من غير العلمي أن نستنتج أن الوعي البشري يمكن تفسيره بروح أو نفس يمتلكها البشر؟ ولم يستطع حقاً أن يقدم لي إجابة جيدة على هذا السؤال بخلاف قوله: حسناً، هكذا يتم ممارسة العلم هذه الأيام، على الأقل في الغالب. ومع ذلك، في العصر الحديث، وبالتأكيد في فترة العصر الحديث المبكر، لم يكن يُنظر إلى الأمر بهذه الطريقة

كان آباء العلم الحديث جميعهم تقريباً من المؤمنين بالله، وكثير منهم من المسيحيين، ورأوا أن هذا النوع من التكامل بين عقيدتهم والعلم الذي كانوا يمارسونه أمر طبيعي ومناسب تماماً. لذا ربما يكون هذا هو النهج

السائد الآن، ولا سيما في النقابة العلمية في الحضارة الغربية، هذا الافتراض القوي لصالح الطبيعية المنهجية ولكن لمجرد أننا في هذا الوضع من تاريخ العلم الآن، فهل يترتب على ذلك أن هذا أمر معياري تماماً لممارسة العلم؟ هناك حجة أخرى لصالح الطبيعية المنهجية تستند إلى مفهوم النزاهة الوظيفية

لقد استند هوارد فان تيل وآخرون إلى هذا المفهوم قائلين إن الله خلق العالم المادي مكتفياً بذاته وقادراً على العمل من تلقاء نفسه من خلال ما نسميه قوانين الطبيعة. لذا، لا نحتاج إلى الاستعانة بأي وكلاء خارقيين للطبيعة لتفسير أي ظاهرة نصادفها. وهناك نقطتان حول هذا الموضوع: إن هذا يعتمد على التكامل الوظيفي

ومن عجيب المفارقات أن فان تيل وآخرين يعتمدون صراحة على اعتبارات لاهوتية معينة لتبرير هذا النهج الطبيعي المنهجي. كما يسيء هذا النهج فهم قوانين الطبيعة كما لو كانت قوانين الطبيعة كيانات يمكنها حقاً تفسير أي شيء. فقوانين الطبيعة عبارة عن أوصاف لظواهر روتينية أو منتظمة، والتي تحتاج بدورها إلى تفسير خاص بها

لماذا يوجد قانون التريبع العكسي؟ لماذا توجد قوى نووية قوية وضعيفة؟ لماذا توجد قوانين الديناميكا الحرارية هذه؟ هذا يحتاج إلى تفسير. لذا فإن قوانين الطبيعة لا تقدم أي تفسير سببي. إنها تحتاج إلى تفسير نفسها

هذه إذن بعض الحجج لصالح الطبيعية المنهجية وبعض المشاكل التي تعترض كل منها. والبديل للطبيعية المنهجية هو ما يسمى بالعلم التوحيدي. وهو نهج بديل ينادي به أمثال ألفين بلانتينجا وآخرون من المشاركين في حركة التصميم الذكي

إن العلم الإلهي يأخذ في الاعتبار الاعتبارات اللاهوتية عند ممارسة العلم. ومن المقبول من هذا المنظور أن نجري بحثاً علمياً في ضوء أي شيء آخر نعرفه، بما في ذلك الحقائق اللاهوتية. وأعتقد أنه من الجدير بالذكر أن التخصصات الأخرى منفتحة على المدخلات من العلم والتخصصات الأخرى

وهذا أمر معقول. ففي الأوساط الأكاديمية، نقدر ونثمن المناهج المتعددة التخصصات. فلماذا ينبغي أن يكون العلم استثناءً من هذه القاعدة؟ بصفتي فيلسوفاً، أود أن أحصل على مدخلات من التاريخ والعلوم، والعلوم الاجتماعية، والنقد الأدبي، وما إلى ذلك

إن المؤرخين يريدون الحصول على مدخلات من العلوم والفلسفة وما إلى ذلك. ويريد علماء الدين الحصول على مدخلات من كل هذه المجالات الأخرى. فلماذا لا يكون العلماء منفتحين على مدخلات من كل هذه المجالات الأخرى، بما في ذلك اللاهوت؟ ومرة أخرى، فإن نظرية التصميم الذكي تشكل مثلاً على العلم التوحيدي

تتعامل نظرية التصميم الذكي مع قضايا تتعلق بالطبيعة غير الحية، وتتحدث عن ضبط الكون، فضلاً عن عالم الكائنات الحية والأنظمة البيولوجية. ومن هذا المنظور، قد تقودنا الأدلة على التصميم إلى استنتاج سبب خارق للطبيعة، سواء كنا نتحدث، مرة أخرى، عن أصل الأنواع أو الوعي البشري أو أصل الكون. وفي سياق علم الأحياء والأنظمة الحية، هناك مفهوم التعقيد غير القابل للاختزال الذي كان موضوعاً للكثير من الجدل، لكن مناصري نظرية التصميم الذكي غالباً ما يشيرون إليه كدليل على السببية أو التفسير الخارق للطبيعة

إننا لا نستطيع أن نتصور بنية أو وظيفة من هذا النوع من دون أنظمة سابقة أبسط من هذه التي كانت قادرة على نشوئها. ففي عالم الأحياء، نجد هذه الدوائر المعقدة التي لا يمكن اختزالها، والتي تتطلب على سبيل المثال الحمض النووي لإنتاج الحمض النووي الريبي الرسول، وهو ضروري لإنتاج الحمض النووي. ولكن

كيف نشأت هذه الدورة أو الدائرة المعقدة للغاية من الوظائف البيولوجية في المقام الأول؟ هذا هو التعقيد الذي لا يمكن اختزاله.

وفي الختام، أود أن أتحدث عن بعض أفكار ألفين بلانتينجا حول العلم والدين. وكتابه الرائع الذي صدر قبل نحو عشر سنوات بعنوان "أين يكمن الصراع حقاً". وربما يكون هذا الكتاب هو أفضل كتاب قرأته على الإطلاق حول موضوع العلم والدين.

أطروحته في هذا الكتاب هي أن هناك صراعاً سطحيًا، ولكن هناك انسجامًا عميقًا بين العلم والدين التوحيدي، ولكن هناك انسجامًا سطحيًا وصراعًا عميقًا بين العلم والطبيعية. إذن، ما هو مصدر الصراع بين العلم والطبيعية؟ عادة ما نربط بين الاثنين. نعتقد أنه، حسنًا، إذا كان شخص ما عالمًا صارمًا، بسبب ذلك فقد يغريه الطبيعية لأن هذين الأمرين يميلان إلى التوافق معًا.

يزعم بلانتينجا أن هناك في الواقع صراعاً عميقاً بين الأمرين. فهما لا يتوافقان مع بعضهما البعض. فمن ناحية ربما تكون هذه هي حجته الرئيسية: إذ تواجه الطبيعية صعوبة في تفسير هذا الافتراض الأساسي في العلم القائل بأن قدراتنا المعرفية موثوقة في الاستقصاء، وأن الفكر يعكس الواقع، وأن قدراتنا المعرفية تميل إلى إنتاج معتقدات أكثر صدقاً من المعتقدات الزائفة.

في الواقع، إنها موجهة إلى هذا الحد. فهي تهدف إلى إنتاج معتقدات حقيقية. وهذا افتراض نفترضه جميعاً وليس العلماء فقط.

ولكن بلانتينجا أشار إلى أن هذا يمثل مشكلة بالنسبة لعلماء الطبيعة، لأن كونك عالماً طبيعياً يعني بالضرورة أنك من أنصار نظرية داروين. وهذه هي الطريقة الوحيدة التي تفسر كل الخصائص والخصائص المختلفة التي تميز كل الكائنات الحية، بما في ذلك البشر. وعلى هذا فإذا كانت قدراتي المعرفية وكل شيء آخر يتعلق بي نتاجاً للانتقاء الطبيعي، الذي نتج عن طفرات عشوائية على مدى آلاف السنين، فإن امتلاكي للقدرة المعرفية التي أمتلكها، حتى ولو كان هذا الانتقاء قد أنتج نوعاً من القدرة على التكيف مع البيئة، مفيد عملياً للغاية بالنسبة لي.

ولكن هذا لا يضمن أن إدراكي يهدف إلى الحقيقة. فمن أين لك في هذه القصة الداروينية أن تجد أي نوع من الثقة في أن قدراتنا الإدراكية موجهة نحو إنتاج معتقدات حقيقية؟ إن أقصى ما يمكنك الحصول عليه من هذا هو أن إدراكنا فعال من أجل البقاء. ولكن هناك الكثير من المعتقدات الخاطئة التي قد تكون ذات قيمة كبيرة في البقاء.

على سبيل المثال، لنفترض أنني نشأت، لأي سبب كان، اعتقاد خاطئ مفاده أنه إذا لم أسدد قرض الرهن العقاري على منزلي بحلول الوقت الذي أبلغ فيه الخمسين من عمري، فسوف يتم القبض علي وإلقائي في السجن. هذا اعتقاد سخيف. ولكن لنفترض أنني تشكلت لدي هذه القناعة عندما كنت في أواخر الثلاثينيات من عمري.

أضمن لك أنه بحلول سن الخمسين، سأكون قد سددت قسط منزلي. ولن أتحمل ديون الرهن العقاري بعد الآن. وهذا من شأنه أن يعود علي بالنفع.

قد يكون هذا مفيداً لأي شخص. فالاعتقاد الخاطئ قد يكون له قيمة كبيرة في البقاء. وقد يكون مفيداً جداً في التكيف.

يمكننا أن نفكر في كل أنواع الأمثلة الأخرى. فمجرد امتلاكي لهذه القدرات المعرفية المفيدة للغاية من وجهة نظر عملية لا يعني ضمناً أنها تهدف إلى الحقيقة. ولكن هذا افتراض مهم للغاية بالنسبة للعلم، وهو أن معتقداتنا التي تميل قدرتنا المعرفية إلى إنتاجها تهدف إلى إنتاج معتقدات حقيقية.

إن الإيمان بالله قادر على تفسير هذا. إن المذهب الطبيعي لا يمنحنا هذا النوع من التأكيد، ولكن الإيمان بالله يفعل ذلك لأن المؤمن بالله يؤمن بأن الله صمم البشر على صورته، وأن الله مهتم بتزويدنا بقدرات معرفية. قدرة على اكتساب الحقيقة، وتهدف إلى إنتاج معتقدات حقيقية.

وهذا من شأنه أن يشكل مصدراً رئيسياً للتوافق بين العلم والتوحيد، وهو الاعتقاد بأن الإدراك البشري يهدف إلى الحقيقة، أو حقيقة أن الدين التوحيدي يفسر اعتقادنا بأن الإدراك البشري يهدف إلى الحقيقة. فضلاً عن ذلك، فإن الطبيعة موحدة. وهذا افتراض يفترضه العلماء في كل الأوقات، ولكن الطبيعة لا تستطيع أن تفسر أي نوع من الثقة في أن قوانين الطبيعة سوف تظل ثابتة بمرور الوقت.

ولكن المؤمن بالله لديه تفسير سهل لذلك. فقد نظم الله العالم بطريقة تجعل قوانين الطبيعة هذه ثابتة وموثوقة بمرور الوقت، وموثوقة في ممارسة العلم حتى نتمكن من التنبؤ بالظواهر المستقبلية، وهو أمر ضروري لممارسة العلم. وأخيراً، فعالية الرياضيات في فهم العالم المادي، وهو لغز مطلق بالنسبة لعلماء الطبيعة، كيف يمكن لكل هذه الحسابات المعقدة للغاية التي يقوم بها علماء الفيزياء أن تتطابق مع العالم بشكل جيد، بحيث عندما تقوم بالحسابات، يمكنك أن تكون على ثقة من أن التجربة التي تقوم بها ستنتهي تمامًا كما توقعت.

كان ألبرت أينشتاين قد تنبأ بأن الضوء القادم من النجوم البعيدة سوف يتأثر بقوة الجاذبية للشمس أثناء مروره بها كجزء من نظريته النسبية. وعندما تم اختبار ذلك من خلال كسوف الشمس في أغسطس 1919 في مكان ما في أمريكا الجنوبية، لم يكلف أينشتاين نفسه عناء القيام بالرحلة إلى هناك. وعندما تم تأكيد نظريته، جاء أحد مساعديه إلى مختبره وقال، دكتور أينشتاين، لقد تم تأكيد نظريتك، لقد تم تأكيد نظريتك.

وكما توقعت، فقد ورد أن أينشتاين لم يرفع عينيه حتى. بل ظل يدون بعض الملاحظات التي كان يسجلها في "مختبره. وكان رد فعله الوحيد: "أوه، كنت أعلم أن هذا هو الحال

لقد أثبتت الرياضيات ذلك. لذا، كان واثقاً من صحة هذا الادعاء المثير للجدل حول العالم المادي من خلال الرياضيات فقط. وهذا مجرد مثال واحد

كل يوم، في جميع أنحاء العالم، يقوم العلماء بتوقعات مبنية على حسابات رياضية، ونحن نأخذها كأمر مسلم به. حتى في بناء أرفف الكتب أو القيام بنوع من التجديد في منزلي، كلما كنت أعمل في النجارة أو أي شيء آخر، أتذكر هذه الحقيقة. أقوم بالحسابات الرياضية، وبالتأكيد، إذا قمت بذلك بعناية، فإن الشيء الذي أصنعه، أو البوفيه الذي أبنيه، أو أرفف الكتب التي أصنعها يتحول تمامًا كما تخيلت لأن الفكر يعكس الواقع في المجال الرياضي.

كيف تفسر ذلك؟ حسناً، لدى المؤمن تفسير، وهو أن الله قد أعد العالم على هذا النحو، وقد كيّف العقل البشري والإدراك البشري مع العالم بطريقة تجعلنا على ثقة من أن الفكر يعكس الواقع. الآن، نحتاج إلى أن نكون حذرين للغاية، ومجتهدين، ودقيقين في الطريقة التي نجري بها حساباتنا وبقيّة تفكيرنا، ولكن هذه هي الطريقة التي يعمل بها العالم. وهذا لأن الله أعده على هذا النحو

لا يقدم عالم الطبيعة تفسيرًا هنا أو لأي من هذه الأشياء الأخرى. لذا، أعتقد أن هذه بعض النقاط الجيدة حقًا التي يطرحها بلانتينجا فيما يتعلق بالتوافق العميق بين العلم والدين، وخاصة الإيمان بالله، فضلاً عن الصراع العميق بين الطبيعية والعلم. وبهذا تنتهي مناقشتنا حول العلم والدين.

هذا هو الدكتور جيمس سبيجل في محاضراته عن فلسفة الدين. هذه هي الجلسة 14، الإيمان بالله والعلم